

فرعون داخليين فيه، أمره الله تعالى أن يلتطم عليهم، ففرقوا عن آخرهم، وتركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا، وأورثه الله بني إسرائيل، الذين كانوا مستعبدين لهم، ولهذا قال: ﴿كم تركوا من جنات وعيون \* وزروع ومقام كريم \* ونعمة كانوا فيها فاكهين \* كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾.

﴿فما يكت عليهم السماء والأرض﴾: أي: لما أتلفهم الله وأهلكهم، لم تبتك عليهم السماء والأرض، أي: لم تحزن عليهم، ولم يؤس على فراقهم، بل كل استبشر بهلاكهم وتلفهم، حتى السماء والأرض، لأنهم ما خلفوا من آثارهم إلا ما يسود وجوههم، ويوجب عليهم اللعنة والمقت من العالمين.

﴿وما كانوا منظرين﴾: أي: مهلين عن العقوبة، بل اصطلمتهم في الحال. ثم امتنّ تعالى على بني إسرائيل، فقال: ﴿ولقد تجينا بني إسرائيل من العذاب المهين﴾ الذي كانوا فيه ﴿من فرعون﴾ إذ يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم.

﴿إنه كان عالياً﴾: أي: مستكبراً في الأرض بغير الحق، ﴿من المرفين﴾ المتجاوزين لحدود الله، المتجرئين على عماره.

﴿ولقد اخترناهم﴾: أي: اصطفيناهم وانتقيناهم ﴿على علم﴾ منا بهم، وباستحقاقهم لذلك الفضل ﴿على العالمين﴾: أي: عالمي زمانهم ومن قبلهم وبعدهم حتى أتى الله بأمة محمد ﷺ، ففضلوا العالمين كلهم، وجعلهم الله خير أمة أخرجت للناس، وامتنّ عليهم بما لم يمتن به على غيرهم.

﴿وأتيناهم﴾: أي: بني إسرائيل ﴿من الآيات﴾ الباهرة، والمعجزات الظاهرة، ﴿ما فيه بلاء مبين﴾: أي:

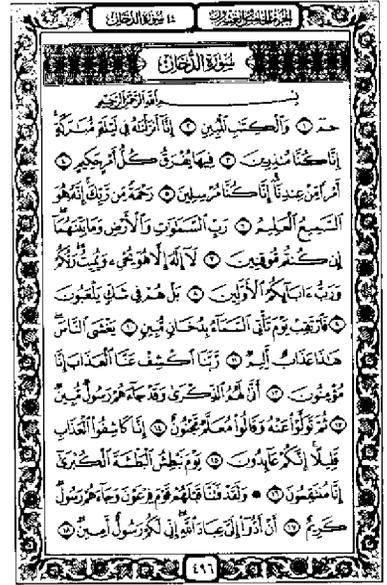
واستبعدوهم بغير حق، فأرسلوهم ليعبدوا ربهم، ﴿إني لكم رسول أمين﴾: أي: رسول من رب العالمين، أمين على ما أرسلني به، لا أكتكم منه شيئاً، ولا أزيد فيه ولا أنقص، وهذا يوجب تمام الانقياد له.

﴿وأن لا تعملوا على الله﴾ بالاستكبار عن عبادته، والعلو على عباد الله، ﴿إني آتيكم سلطان مبین﴾: أي: بحجة بينة ظاهرة، وهو ما أتى به من المعجزات الباهرات، والأدلة القاهرات، فكذبوه وهوا يقتله، فلجأ بالله من شرهم، فقال: ﴿وإني عدت يربي وربكم أن ترجون﴾: أي: تقتلوني أشر القتلات، بالرجم بالحجارة.

﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعترفون﴾: أي: لكم ثلاث مراتب: الإيمان بي، وهو مقصودي منكم، فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة، فاعترفوني، لا علي ولا لي، فاكفوني شركم، فلم تحصل منهم المرتبة الأولى ولا الثانية، بل لم يزالوا متمردين عاتين على الله، محاربين لنبية موسى عليه السلام، غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل، ﴿فدعاه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾: أي: قد أجمروا جرماً، يوجب تعجيل العقوبة.

فأخبر عليه السلام بحالهم، وهذا دعاء بالخال، التي هي أبلغ من المقال، كما قال عن نفسه عليه السلام ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾. فأمره الله أن يسري بعباده ليلاً، وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونه، ﴿واترك البحر رهوا﴾: أي: بحاله وذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله، ثم تبعهم فرعون، فأمر الله موسى أن يضرب البحر، فضربه، فصار اثني عشر طريقاً، وصار الماء من بين تلك الطرق كالجبال العظيمة، فسلكه موسى وقومه.

فلما خرجوا منه، أمره الله أن يتركه رهواً، أي: بحاله، ليسلكه فرعون وجنوده ﴿إنهم جند مغرقون﴾ فلما تكامل قوم موسى خارجين منه، وقوم



إننا منتقمون﴾ أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم.

وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين، لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك.

بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة، وهذا الذي يظهر عندي ويترجح، والله أعلم.

﴿١٧ - ٣٣﴾ ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ إلى آخر القصة<sup>(١)</sup> لما ذكر تعالى تكذيب من كذب الرسول عمداً ﷺ، ذكر أن لهم سلفاً من المكذبين، فذكر قصتهم مع موسى، وما أحل الله بهم، ليرتدع هؤلاء المكذبون عن ما هم عليه، فقال: ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾: أي: ابتليناهم واختبرناهم بإرسال رسولنا موسى بن عمران إليهم، الرسول الكريم، الذي فيه من الكرم ومكارم الأخلاق ما ليس في غيره، ﴿أن أدوا إلي عباد الله﴾: أي: قال لفرعون وملئه: أدوا إلي عباد الله، يعني بهم: بني إسرائيل، أي: أرسلوهم، وأطلقوهم من عذابكم وسومكم إياهم سوء العذاب، فإنهم عشيرتي، وأفضل العالمين في زمانهم.

وأنتم قد ظلمتموهم،

(١) في نسخة (ب) ذكر الآيات كاملة.

إحسان كثير، ظاهر منا عليهم، وحنة عليهم، على صحة ما جاءهم به نبيهم موسى عليه السلام.

﴿٣٤ - ٣٧﴾ **﴿إن هؤلاء**

ليقولون \* إن هي إلا موتنا الأولى وما نحن بمنشرين \* فأتوا بأبائنا إن كنتم صادقين \* أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكتناهم إنهم كانوا مجرمين﴾ يخبر تعالى **﴿إن هؤلاء﴾** المكذبين يقولون مستبعدة للبعث والنشور: **﴿إن هي إلا موتنا الأولى وما نحن بمنشرين﴾** أي: ما هي إلا الحياة الدنيا، فلا بعث ولا نشور، ولا حنة ولا نار، ثم قالوا - متجرتين على ربهم، معجزين له -: **﴿فأتوا بأبائنا إن كنتم صادقين﴾** وهذا من اقتراح الجهلة المعاندين في مكان صحيح، فأى: ملازمة بين صدق الرسول ﷺ، وأنه متوقف على الإتيان بأبائهم؟ فإن الآيات قد قامت على صدق ما جاءهم به، وتواترت تواتراً عظيماً من كل وجه.

قال تعالى: **﴿أهم خير﴾** أي: هؤلاء المخاطبون **﴿أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكتناهم إنهم كانوا مجرمين﴾** فإنهم ليسوا خيراً منهم، وقد اشتركوا في الإجماع، فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب إخوانهم المجرمين.

﴿٣٨ - ٤٢﴾ **﴿وما خلقنا**

السموات والأرض وما بينهما لآعين \* ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون \* إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين \* يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون \* إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم﴾ يخبر تعالى، عن كمال قدرته، وتمام حكمته، وأنه ما خلق السموات والأرض لعباً ولا لهواً أو سدى من غير فائدة، وأنه ما خلقهما إلا بالحق، أي: نفس خلقهما بالحق، وخلقهما مشتمل على الحق، وأنه أوجدهما ليعبده ووحده لا شريك له، وليأمر العباد وينهاهم ويثيبهم ويعاقبهم، **﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾** فلذلك لم يتفكروا في خلق السموات والأرض.

**﴿إن يوم الفصل﴾** وهو يوم القيامة الذي يفصل الله به بين الأولين والآخرين، وبين كل مختلفين **﴿ميقاتهم﴾** أي: الخلاق **﴿أجمعين﴾**

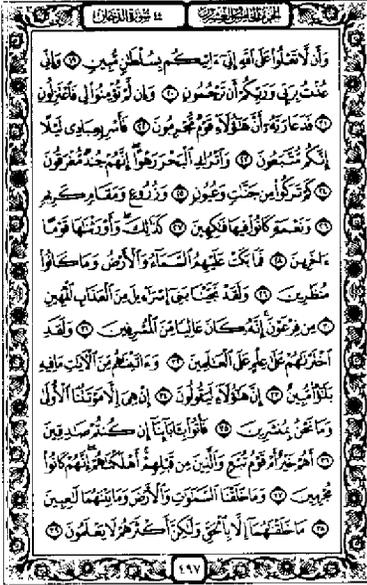
كلهم سيجمعهم الله فيه، ويحضرهم ويحضر أعمالهم، ويكون الجزاء عليها ولا ينفع مولى عن مولى شيئاً لا قريب عن قريبه، ولا صديق عن صديقه، **﴿ولا هم ينصرون﴾** أي: يمتنعون من عذاب الله عز وجل، لأن أحداً من الخلق لا يملك من الأمر شيئاً.

**﴿إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم﴾** فإنه هو الذي ينتفع ويرتفع برحة الله تعالى، التي تسبب إليها، وسعى لها سعيها في الدنيا. ثم قال تعالى:

﴿٤٣ - ٥٠﴾ **﴿إن شجرة**

الزقوم \* طعام الأليم \* كالمهل يغلي في البطون \* كغلي الحميم \* خذره فاعتلوه إلى سواء الجحيم \* ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم \* ذق إنك أنت العزيز الكريم \* إن هذا ما كنتم به تمشرون﴾ لما ذكر يوم القيامة، وأنه يفصل بين عباده فيه، ذكر افتراقهم إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وهم: الأثمون بعمل الكفر والمعاصي، وأن طعامهم **﴿شجرة الزقوم﴾** شر الأشجار وأفظعها، وأن طعامها **﴿كالمهل﴾** أي: كالصديد المنتن، خبيث الريح والطعم، شديد الحرارة، يغلي في بطونهم **﴿كغلي الحميم﴾** ويقال للمعذب: **﴿ذق﴾** هذا العذاب الأليم، والعقاب الوخيم، **﴿إنك أنت العزيز الكريم﴾** أي: بزعمك أنك عزيز، ستمتنع من عذاب الله، وأنت كريم على الله لا يصيبك بعذاب، فالיום تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس، **﴿إن هذا﴾** العذاب العظيم **﴿ما كنتم به تمشرون﴾** أي: تشكون، فالآن صار عندكم حق اليقين.

﴿٥١ - ٥٩﴾ **﴿إن المتقين في مقام**



أمين \* في جنات وعيون \* يلبسون من سندس واستبرق متقابلين \* كذلك وزوجناهم بحور عين \* يدعون فيها بكل فاكهة آمنين \* لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم \* فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم \* فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون \* فارتقب إنهم مرتقبون﴾ هذا جزء المتقين لله الذين اتقوا سخطه وعذابه، بتركهم المعاصي، وفعلهم الطاعات، فلما انتفى السخط عنهم والعذاب، ثبت لهم الرضا من الله، والثواب العظيم، في ظلال ظليل، من كثرة الأشجار والفواكه، وعيون سارحة، تجري من تحتهم الأنهار، فيجرونها تفجيراً في جنات النعيم.

فأضاف الجنات إلى النعيم، لأن كل ما اشتملت عليه كله نعيم وسرور، كامل من كل وجه، ما فيه منغص ولا مكدور بوجه من الوجوه.

ولباسهم من الحرير الأخضر من السندس والإستبرق، أي: غليظ الحرير ورقيقه، مما تشبهه أنفسهم، **﴿متقابلين﴾** في قلوبهم ووجوههم في كمال الراحة، والطمأنينة، والمحبة، والعشرة الحسنة، والآداب المستحسنة.

**﴿كذلك﴾** النعيم التام والسرور الكامل **﴿وزوجناهم بحور عين﴾** أي: نساء جميلات، من جالهن وحسنهن أنه

واضحات، على صدق هذا القرآن العظيم، وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضاً على ما لله تعالى من الكمال، وعلى البعث والنشور.

ثم قسم تعالى الناس، بالنسبة إلى الانتفاع بآياته وعدمه، إلى قسمين:

قسم يستدلون بها، ويتفكرون بها، ويتفتنون فيرتفعون، وهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، إيماناً تاماً، وصل بهم إلى درجة اليقين، فزكى منهم العقول، وازدادت به معارفهم وأبوابهم وعلومهم.

وقسم يسمع آيات الله سماعاً تقوم به الحجة عليهم، ثم يعرض عنها ويستكبر، كأنه ما سمعها، لأنها لم تترك قلبه، ولا طهرته، بل بسبب استكباره عنها ازداد طغيانه.

وأنه إذا علم من آيات الله شيئاً اتخذها هزواً، فتوعده الله تعالى بالويل فقال:

﴿ويل لكل أفكأ أثيم﴾ أي: كذاب

في مقاله، أثيم في فعاله. وأخبر أن له عذاباً أليماً، وأن من ورائهم جهنم﴾ تكفي في عقوبتهم البليغة.

وأنه ﴿لا يغني عنهم ما كسبوا﴾ من الأموال ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يستنصرون بهم فخذلهم، أحوج ما كانوا إليهم لو نفخوا.

فلما بين آياته القرآنية والعيانية، وأن الناس فيها على قسمين، أخبر أن القرآن المشتمل على هذه المطالب العالية، أنه هدى، فقال: ﴿هذا هدى﴾ وهذا وصف عام لجميع القرآن، فإنه يهدي إلى معرفة الله تعالى، بصفاته المقدسة، وأفعاله الحميدة، ويهدي إلى معرفة رسله، وأوليائه، وأعدائه، وأوصافهم، ويهدي إلى الأعمال الصالحة ويدعو إليها، ويبين الأعمال السيئة وينهى عنها، ويهدي إلى بيان الجزاء على الأعمال، ويبين الجزاء الدنيوي والأخروي، فالملتدون اهتدوا به، فأفلحوا وسعدوا، ﴿والذين كفروا

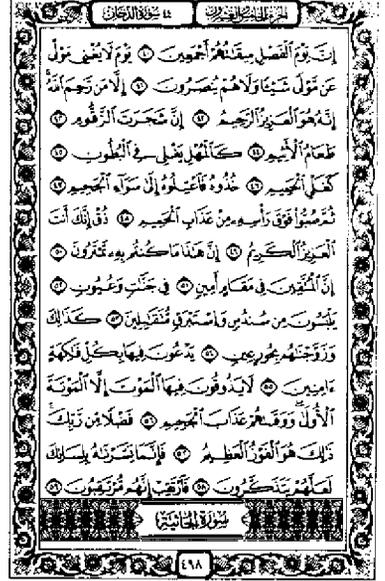
﴿لعلهم يتذكرون﴾ ما فيه نفعهم في فعلونه، وما فيه ضررهم في تركونه.

﴿فارتقب﴾ أي: انتظر ما وعدك ربك من الخير والنصر، ﴿إنيهم مرتقبون﴾ ما يحل بهم من العذاب، وفرق بين الارتقابين: رسول الله وأتباعه يرتقبون الخير في الدنيا والآخرة، وضدهم يرتقبون الشر في الدنيا والآخرة.

تم تفسير سورة الدخان،  
والله الحمد والمنة

### تفسير سورة الجاثية مكية

﴿١١ - ١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم حم﴾ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم \* إن في السماوات والأرض لايات للمؤمنين \* وفي خلقكم وما بيث من دابة آيات لقوم يوقنون \* واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون \* تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون \* ويل لكل أفكأ أثيم \* يسمع آيات الله تتل عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم \* وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين \* من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم \* هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم﴾ يجبر تعالى خيراً يتضمن الأمر بتعظيم القرآن والاعتناء به، أنه ﴿تنزيل﴾ ﴿من الله﴾ المألوه المعبود، لما اتصف به من صفات الكمال، وانفرد به من النعم، الذي له العزة الكاملة والحكمة التامة، ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية والنفسية، من خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من الدواب، وما أودع فيهما من المنافع، وما أنزل الله من الماء، الذي يجي به الله البلاد والعباد. فهذه كلها آيات بينات، وأدلة



بجار الطرف في حسنهن، وينبهر العقل بجمالهن، وينخلب اللب لكمالهن، ﴿عين﴾ أي: ضخام الأعين حسناها.

﴿يدعون فيها﴾ أي: الجنة ﴿بكل فاكهة﴾ مما له اسم في الدنيا، ومما لا يوجد له اسم، ولا نظير في الدنيا، فمهما طلبوه من أنواع الفاكهة وأجناسها، أحضر لهم في الحال، من غير تعب ولا كلفة، ﴿أمين﴾ من انقطاع ذلك، وأمين من مضرتهم، وأمين من كل مكدر، وأمين من الخروج منها والموت، ولهذا قال: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ أي: ليس فيها موت بالكلية، ولو كان فيها موت يستثنى، لم يستثن الموتة الأولى، التي هي الموتة في الدنيا، فتم لهم كل محبوب مطلوب، ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ فضلاً من ربك﴾ أي: حصول النعيم واندفاع العذاب عنهم، من فضل الله عليهم وكرمه، فإنه تعالى هو الذي وفقهم للأعمال الصالحة، التي بها نالوا خير الآخرة، وأعطاهم أيضاً ما لم تبلغه أعمالهم، ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ وأي: فوز أعظم من نيل رضوان الله ووجته، والسلامة من عذابه وسخطه؟

﴿فإنما يسرناه﴾ أي: القرآن ﴿بلسانك﴾ أي: سهلناه بلسانك الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق وأجلها، فيسر به لفظه، ويسر معناه.